

دراسات الأدب المعاصر، السنة الثامنة، صيف ١٣٩٥، العدد الثلاثون: صص ١٤١-١٥٥

## رثاء أهل البيت عليهم السلام في الشعر المعاصر المسيحي اللبناني

سيد نظام الدين مرتضوى\*

تاريخ الوصول: ٩٤/١٠/١٩

عبدالرضا عطاشي\*\*

تاريخ القبول: ٩٥/٣/٢١

### الملخص

تقدّم هذه المقالة ظاهرة من أهمّ الظواهر الإنسانية ألا وهي الرثاء، إن الرثاء من أنواع الأغراض الشعرية الذي يلتصق بالنوازع الإنسانية والاجتماعية والذاتية و... فالرثاء اعتنى به الشعراء منذ القديم، وفي العصر الراهن أيضاً تناول الشعراء رثاء آل البيت(ع)؛ فمنهم شعراء لبنان بذلوا جهداً وعنايةً في نظم الأشعار في رثاء آل البيت(ع). فنسعى في هذا المقال أن ندرس موضوع رثاء أهل البيت عليهم السلام في شعر شعراء لبنان المعاصرين وأن نقدّم نماذج من أشعارهم ونقوم بدراسة الفنون الأدبية والمواضيع التي تطرّق إليها هؤلاء الشعراء في رثاءهم لأهل البيت عليهم السلام. وسنعمد في دراسة هذا الغرض طريقة التحليل الوصفي وفق المنهج المتكامل.

**الكلمات الدليلية:** الرثاء، أهل البيت(ع)، الشعر العربي، شعراء لبنان المعاصرين.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی  
پرتال جامع علوم انسانی

\* طالب الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، فرع آبادان، آبادان، إيران.

n.mortazavi2679@gmail.com

\*\* عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، فرع آبادان، آبادان، إيران (أستاذ مساعد).

abdolrezaattashi2014@gmail.com

الكاتب المسؤول: عبدالرضا عطاشي

## المقدمة

إنّ الرثاء من أبرز وأقدم أغراض الشعرية ومن الموضوعات البارزة فى الشعر(ضيف، ١٩٨٨: ٥) ويعتبر أصدق أنواع الشعر(عبّود، ١٩٦٠م: ٨١) الذى اعتنى به الشعراء ونظموا فيه أشعاراً لأنّ الرثاء وليد انفعال صادق ومعاناة مؤلمة.

وأهميّة هذا الفنّ الغنائى تكمن فى تصويره للوجدان الفردى وما ينتابه من أحاسيس أمام فاجعة الموت التى تعد من أقدم ما يواجهها الوجود الإنسانى. والشعراء منذ القديم بذلوا اهتماماً خاصاً لهذا الفنّ، وقد نظموا الكثير من القصائد فى رثاء الأقارب والأباعد، كما نظموا المراثى فى رثاء عظماء الدين وكبار العلماء. والرثاء بلا منازع أقدم أغراض الشعر العربى؛ «ويجمع كثير من المؤرّخين أنّ أوّل قصيدة قيلت فى الشعر العربى كانت فى الرثاء»(الجمحى، ١٩٧٤م: ٢٢).

واستمرّ الرثاء مع توالى العصور إلى عصرنا الراهن فنرى فى دواوين الشعراء فى العصور المختلفة مراثى كثيرة، وأنها نظمت فى فقدان العزيز، أو سكب الدموع أمام سلطان لينال الشاعر حظوته، ولمراثى أهل البيت عليهم السلام مكانة مرموقة فى الأدب العربى فى العصور المختلفة فلم يكن هناك شاعر سمع أو شاهد مأساة آل البيت(ع) إلّا وقد نظم فى رثائهم قصيدة، وهذا لا يختصّ شعراء الشيعة فحسب بل تجاوزته إلى آداب غيرهم من أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى فقد نظموا قصائد صادقة فى رثاء أهل البيت عليهم السلام.

وقد تناول هؤلاء الشعراء فى نظم قصائدهم فى رثاء أهل البيت عليهم السلام مواضيع مختلفة وقاموا بالدفاع عن آل البيت(ع) ووصف مصائبهم والمحن التى واجهها أهل البيت(ع) أثناء حياتهم. لم يتبع الشعراء فى نظم مراثى أهل البيت(ع) طريقاً واحداً ولكنّ نتّمكّن من خلال دراسة هذه المراثى أن نأتى ببعض الميزات المتبعة فى هذه المراثى. إنّ المراثى تبدأ فى معظمها بذرف الدمع والنواح والندب، ومن ثمّ يذكر الشاعر مناقب أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، وذكر بعض أحاديث من الرسول(ص) التى تدلّ على الخلافة ووصيته فى حبّ آل البيت عليهم السلام، وذمّ أعداء آل البيت(ع)، وذكر المصائب والمحن التى حلّت بهم. فجاءت أكثر مراثى آل البيت عليهم تدلّ على الندب وتعتبر من الرثاء العاطفى.

وقد تأثر الشعراء أشدّ التأثير بواقعة الطف وأحداثها وما أصاب الحسين(ع) يوم عاشوراء، فنرى المراثي التي نظمت في هذا المجال أكثر من غيرها، وهي تتميز بحرارتها وإثارته للعواطف. والأمر الذي يلفت النظر أنّ المراثي التي نظمها الشعراء في العصور المختلفة في رثاء الأقارب، وعظماء الدين والحكام تختصّ بذلك العصر ولكن رثاء أهل البيت عليهم السلام لا يختصّ بعصر دون العصور بل قد اهتمّ الشعراء في جميع العصور الأدبية برثاء آل البيت عليهم السلام وقد صوّروا عظمتهم ومكانتهم في القلوب.

فهذا الغرض العشري مازال متدقّقاً حتى عصرنا الراهن فهناك شعراء قد نظموا قصائد في رثاء أهل البيت عليهم السلام منهم شعراء لبنان وهم على دين المسيح(ع)، فانجذبوا إلى أهل البيت(ع) وطريقتهم ونظموا القصائد في رثاءهم.

إنّ الهدف المتوخّى من هذا المقال هو دراسة مراثي أهل البيت عليهم السلام التي نظمها شعراء لبنان المعاصرين ونسعى في هذا المجال أن نقدّم ميزات المراثي التي اعتنى بها الشعر المعاصر في نظمها، والمواضيع التي اهتمّ بها الشاعر في رثاء أهل البيت عليهم السلام منها: اظهار الحزن والألم من استشهاد أهل البيت عليهم السلام، ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام وعظمتهم، وصف المصائب والمحن التي واجهها أهل البيت(ع) ودور أهل البيت عليهم السلام في تعزيز دين الإسلام وإحيائه وسنصل إلى هذه الأهداف من خلال الدراسة التحليلية والوصفية لقصائد هؤلاء الشعراء.

نسعى في هذا البحث الإجابة على هذه الأسئلة:

ما هي المواضيع التي اعتنى بها الشعراء في رثائهم لأهل البيت عليهم السلام؟  
ما هي الأسباب التي دعت شعراء لبنان المعاصرين إلى رثاء أهل البيت عليهم السلام؟  
وما هي ميزات مراثي شعراء لبنان المعاصرين في آل البيت عليهم السلام؟  
وأما حول خلفيّة البحث فهناك بعض الدراسات تناولت موضوع أهل البيت(ع) في شعر لبنان المعاصر، منها: رسالة تحت عنوان «بررسی زندگی جورج شكور وملحمة الإمام على(ع)» لرضا محمدي ماوي من جامعة آزاد طهران، ورسالة جامعية تحت عنوان «تجلی غدیر خم در شعر معاصر لبنان»، للطالبة/فسانه نورمحمدی من جامعة قم، ورسالة تحت عنوان «بررسی سیمای امام علی(ع) در شعر شاعران مسیحی معاصر لبنان» للكاتبة زينت شريفان من جامعة تربيت معلم سبزوار، ومن المقالات يجدر الإشارة إلى مقالة

«الإمام على(ع) في الشعر المسيحي المعاصر» للكاتب تورج زيني وند، ومقالة «امام على(ع) و نهج البلاغه از نگاه ريمون قسيس شاعر مسيحي معاصر لبناني» للكاتبة زهرا أفضلي، ومقالة «ولادت حضرت على(ع) در خانه كعبه از دیدگاه اندیشمندان و شاعران مسيحي عرب در دوران معاصر» للكاتبة مريم حكمت نيا والكاتب جعفر دلشاد، ومقالة «رثاء الإمام الحسين(ع) في ملحمة عيد الغدير»، للكاتبين على پيراني شال وحسين روستايي.

### رثاء اهل بيت(ع) في شعر شعراء لبنان

إنّ دراسة شعر شعراء لبنان المعاصرين، تبين لنا أن أدب هذا القطر العربي قد شاهد تطوراً ملحوظاً في العصور المختلفة، إنّ أدب لبنان قد تأثرت فيه الظروف السياسية والاجتماعية حيث نرى أنّ الأدب أصبح وسيلة لتحسين هذه الظروف في عصرنا. وإذن نرى الأدب جاء ملتزماً في خدمة شعر المقاومة والدفاع عن الإيمان والعقيدة. والشعراء من مذاهب وأديان مختلفة كالمسيحية وغيرها قاموا بالدفاع عن وطنهم وعقيدتهم وإيمانهم، واتخذوا عظماء الدين أسوة لأنفسهم، فجاء شعرهم شعراً ملتزماً، فأهل البيت عليهم السلام هم أسوة الدفاع عن الدين، والعقيدة، والإيمان، فبهذه الأسباب نرى شعراء لبنان انجذبوا إلى أهل البيت عليهم السلام.

أما القصائد التي نظمت في رثاء الإمام الحسين(ع) فهي أكثر ظهوراً في شعر شعراء لبنان. فإنّ شعراء لبنان على دين المسيح قد نظموا قصائد في رثاء الإمام الحسين(ع) حيث جعلوا العلاقة بين دين الإسلام ودين المسيح فإنّ الحسين(ع) وشخصيته العظيمة قد دخلت في إطار الأدب العالمي بأكمله. وفي الحقيقة إنّ الإمام(ع) لا يختصّ بمذهب خاص، ولا يتعلّق بدين واحد، فإنّ عظمة الحسين(ع) بعظم البشرية. ومن جهة أخرى إنّ الاستشهاد من أجل العقيدة والإيمان، قد جعل مدلولاً مشتركاً بين شعراء لبنان المسيحيين والمسلمين حيث أصبح الإمام الحسين(ع) الحوار المشترك بين الإسلام ودين المسيح.

ولم يكتف شعراء لبنان في رثاء الإمام الحسين(ع) ويوم عاشوراء بوصف الأحداث والمصائب التي شهدها آل الرسول(ص) في واقعة الطف، بل جعلوا علاقة بين الماضي

والحاضر لمعالجة مأساتهم في عصر الراهن وما يعاني الشعب من ظلم واضطهاد، وأن يذكروا/الحسين(ع) وتضحيته في سبيل إرساء العقيدة والدين وأن يجعلوا منه أسوة لبعث الشعوب من جديد ومقاومة الظلم والوقوف في وجه الطغاة. فلهذا يصبح/الحسين(ع) أسوة المقاومة والاستشهاد في شعر شعراء لبنان المعاصرين.

وقد تطرّق الشعراء في رثاءهم لآل البيت عليهم السلام إلى مواضيع مختلفة منها التعبير عن الحزن، وذكر فضائل آل البيت عليهم السلام ومناقبتهم، ووصف المصائب والمحن التي حلّت بهم، ودور أهل البيت عليهم السلام في إحياء دين الإسلام.

### التعبير عن الحزن في رثاء أهل البيت(ع)

في جميع قصائد الرثاء يبدأ الشاعر رثائه بالبكاء ويصوّر الحزن والألم الذي حلّ به إثر فاجعة فقدان الأحبة والأصدقاء والأقرباء... وهذه أول مرحلة من الرثاء التي تسمّى "الندب". في هذا المقطع من قصيدة الرثاء، يسعى الشاعر أن يعبر عن شعوره وعواطفه تجاه الحبيب الذي فارقه ورحل وأن يصف المعاناة التي يتحمّلها بسبب هذا فقدان ويسعى أن ينقل هذا الشعور والعاطفة إلى المتلقى عبر الأحاسيس التي تحملها مفردات الشعر فيختار الشاعر أدقّ المعاني والصور التي تثير انتباه الشاعر وشعوره وعواطفه كأنّ المتلقى هو الذي أصاب بهذا فقدان المفجئ.

ولا تستثنى المراثي التي نظمت في رثاء أهل البيت(ع) إذ نرى هذه المراثي كغيرها تبدأ بالندب والتعبير عن الحزن والأسى في استشهاد أهل البيت عليهم السلام ولكن الشاعر يمزج رثائه بالقداسة التي يمتلكها المرثي له فيختار المعاني والصور الأدبية التي تدلّ على عظمة آل البيت عليهم السلام.

فيسعى الشاعر أن يتكلّم عن هذا الشعور بالحزن والألم وأن يعبر عنه بالعواطف الصادقة، فلا استشهاد أهل البيت عليهم السلامة مكانة عظيمة في مراثي شعراء لبنان. جوزيف الهاشم من أدباء وعلماء ورجال السياسة في عصرنا الراهن له قصيدة رثاء في حقّ الإمام علي(ع). فيعتقد الشاعر في أبيات من هذه القصيدة أنّ الأمة الإسلامية بل البشرية قد خسرت خسراناً عظيماً باستشهاد أمير المؤمنين(ع)، فيقول:

يا ابن ملجَمٍ إنَّ سَيْفَكَ خَاسِيٌّ      السَّيْفُ زَيْفٌ وَالرَّدَى أَوْهَامٌ

ظَفَرَ العَلِيَّ وَفازَ يَوْمَ سُقُوطِهِ  
 أمَّ الصَّلَاةِ مُضَرَّجاً بِدَمِ التُّقَى  
 وَسَمَّا وَرَبَّ الكَعْبَةِ العَلَامُ  
 وَكأنَّما الجُرْحُ المُمِيتُ وَسَامُ  
 دَرَبِ الشَّهَادَةِ، وَالجِهَادُ مَرَامُ  
 وَكأنَّ أَهْلَ البَيْتِ، ما اسْتاقُوا سِوَى  
 (الهاشم، ١٤٢٠: ١٨)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى تلك العبارة التي قالها الإمام علي (ع) في أثناء صلاة الصبح عندما ضربه ابن ملجم المرادي في أم رأسه، فقال (ع): «فزت ورب الكعبة» وتشير هذه العبارة إلى غربة الإمام (ع) واشتياقه إلى الإستشهاد، وهذه هي الطريقة التي أتبعها أئمة الأطهار عليهم السلام في حياتهم، طريقة الاستشهاد ونشر راية القرآن والإسلام. لم يكن استشهاد الإمام علي (ع) حادثة مفاجئة فحسب، بل هو رمز الصمود وتضحية النفس من أجل العقيدة والإيمان وهو رمز لكل إنسان حرّ ولكل من أراد أن يدافع عن عقيدته وأن يقف صامداً في وجه الظالمين. فيقول الشاعر:

هَلْ يَنْطَوِي دِينَ وَأَنْتَ شَهِيدُهُ  
 وَلَهُ بِشَمْخَةٍ مَنَكَبِيكَ دِعَامُ  
 (همان: ٢٥)

ولبولس سلامة من شعراء لبنان قصيدة تحت عنوان «ملحمة عيد الغدير»، فالشاعر في هذه القصيدة يتكلم بعاطفة صادقة عن استشهاد الإمام علي (ع) ويذرف الدمع في رثائه ويعتقد أن الإمام (ع) هو النور الذي انطفأ من قبل أن يصل أوانه؛ فيقول:

هات يا شعراً أدمعاً لرثائه  
 واذكر النسراً عالياً لم يدنس  
 غاب ضوء النهار قبل انقضائه  
 فالأثير الطهور في أجوائه  
 (سلامة، ١٤٢٣ق: ١٨٣-١٨٧)

فالشاعر في هذه الأبيات يتكلم عن عظمة الإمام (ع) ويشبهه الإمام علي (ع) بالنسر في علو شأنه وشجاعته ويعتقد أن مكانة الإمام عليه السلام أعلى من العيوق في السماء، ونور هدايته لا يمسه الغبار، وهو سيبقى حياً على مدى العصور.

أما الشاعر جوزيف الحرب في قصيدة تحت عنوان «بكائية رأس الحسين» يرثي الإمام الحسين (ع) وأصحابه، ويصور ذلك المشهد الذي دخلت رؤس شهداء كربلاء في بلاط يزيد بن معاوية، ويشبه رؤوس الشهداء على الرماح بالمنارات التي تدخل بعضها تلو الآخر، فيقول:

ثلاث وسبعون رأساً  
ورأس الحسين طليعتها  
منارة خلفها منائر  
دخلت البلاط اليزيدى على سن ثلاثة وسبعين رمحاً...  
فهل لشمس بعد أن تشرق؟!  
ولفرات بعد أن ينساب!  
ولريح بعد أن تهب!  
ولطائر بعد أن يسحب جناحيه!  
ولنبت بعد أن يُمرع!  
ولقضاء بعد أن يعدل!  
ولحكم بعد أن يستوى!  
ولدين بعد أن يشيع!  
ولسلام بعد أن يسود!

(العاملى، ١٤٢٢ق: ٤٧)

إنّ الشاعر فى هذا النصّ الشعري يرى أن الحزن يسرى فى جميع العالم بسبب  
استشهاد الإمام الحسين (ع)، فالشمس لا تشرق من بعده، والفرات لا يجرى والريح لا تهب  
والطائر لن يحلق فى السماء، والزرع لا ينمو... فالشاعر يقيم العزاء فى كل أركان العالم.

### ذكر فضائل أهل البيت (ع)

إنّ الشاعر فى رثائه يذكر محاسن الميّت، وفضائله وحسبه ونسبه وهذا ما يسمّى  
التأبين، وليس التأبين نواحاً ولا نشيجاً، بل هو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، إذ  
يخرّ نجم لامع من سماء المجتمع، فيُشيد به الشعراء منوّهين بمنزلته السياسية أو  
العلمية أو الأدبية، وكأنّهم يريدون أن يصوّروا خسارة الناس فيه. ومن هنا كان التأبين ضباً  
من التعاطف والتعاون الاجتماعى، فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وإنما يعبر عن حزن  
الجماعة وما فقدته فى هذا الفرد المهمّ من أفرادها، ولذلك يسجل فضائله ويلحّ فى هذا  
التسجيل وكأنّه يريد أن يحفرها فى ذاكرة التاريخ حفرّاً حتّى لا تُنسى على مرّ

الزمن (ضيف، ١٩٦٠: ٦). إنَّ شعراء لبنان المعاصرين أيضاً في رثائهم لأهل البيت عليهم السلام، ذكروا فضائلهم ومحاسنهم، وقد وصفوا هذه الفضائل في أشعارهم، إنَّ أهمَّ الفضائل والمحاسن التي قام الشاعر لبنان المعاصر بذكرها ووصفها هي ذكر حسب ونسب أهل البيت (ع)، ذكر الصفات الأخلاقية، الإيمان والعقيدة، الشجاعة، الجود والكرم، الصبر والصمود في سبيل الإيمان و... .

إنَّ الشاعر المعاصر بولس سلامة يذكر الإمام علي (ع) في شعره بألقاب مختلفة كـ«سدرة المنتهى في الكمال الإنساني»، و«علیُّ العصور» (سلامة، ١٤٢٥: ٢٧٧)، وهو يتكلّم عن عظمة الإمام (ع) وفضائله ويعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الإمام (ع) لمناصرة أفضل أنبيائه. والإمام علي (ع) هو نور الهداية الذي يهدي به الضالّون، يقول:

هاشِمِيٌّ صَافِي الْفِرْنَدِ، بَرَاهُ	اللَّهُ نَصْرًا لِمُصْطَفَىٰ أَنْبِيَائِهِ
فِي خِضَمِّ مَنِ الضِّيَاءِ رَجِيبِ	صَبَّ فِيهِ الْإِلَهُ فَيُضَّ بِهَائِهِ
يَا عَلِيَّ الْعُصُورِ ذِكْرَكَ نُورٌ	وَهَدَىٰ لِلنَّفُوسِ إِنْ ضَلَّ تَائِهِ

(مؤسسة الحكمة، ٢٠٠٩: ٢٦١)

والشاعر المسيحي المعاصر جوزيف الهاشم الذي يعدّ من أبرز شعراء النصرانية في الأدب المعاصر، له ديوان شعر تحت عنوان «علويات، قصائد من وحى الإمام» يثبت فيه ولاءه الحاسم والصادق لعلي (ع) وآل البيت عليهم السلام.

ويعتقد أن الإمام علي (ع) في أعلى ذروة الصفات الإنسانية فلم يكن هناك من يعتلى الإمام (ع) سوى الله ونبيه محمّد (ص) في قصيدة تحت عنوان «أهل البيت» يخاطب الإمام حسين (ع) ويقول:

يَا ابْنَ الْعَلِيِّ، وَمَنْ يُعْلُو الْعَلِيَّ سِوَى	وَأَحْمَدٍ فِي دُنَى الْإِسْلَامِ، قَدْ خَتَمَتْ
إِثْنَيْنِ رَبِّكَ فَوْقَ الرَّسُلِ كُلِّهِمْ	بِهِ النَّبُوءَةَ، كَفَّ الْحَاكِمِ الْحَكْمِ

(الهاشم: ٥٨)

وفي موضع آخر يتكلّم الشاعر عن نسب الامام علي بن أبيطالب عليه السلام ويمدحه، ويذكر بعض صفاته كمولود الكعبة، ويعتقد أن ليس هناك لا في قديم الزمن ولا في المستقبل، من يستطع أن يصل إلى هذه المكانة أن يكون وليد الكعبة، فيقول:

نَعَمَ الْعَلِيُّ وَنَعَمَ الْإِسْمُ وَاللَّقَبُ      يَا مَنْ بِهِ يَشْرَتَبُ الْأَصْلُ وَالنَّسَبُ

(الهاشم، ١٩٩٩: ٣١)

وللشاعر المسيحي المعاصر ريمون قسيس قصيدة طويلة في رثاء الإمام الحسين(ع)، هذه القصيدة المعنونة «ملحمة الحسين» تقع في ١١٤ بيتاً؛ إنَّ الشاعر في هذه القصيدة الطويلة مع توظيفه لأغراض الشعرية المختلفة كالمدح والصور الأدبية المتنوعة يذكر مقاطع من ثورة الإمام الحسين(ع)، كما يذكر أسماء الأشخاص والأماكن التاريخية في واقعة كربلاء، أما من أبرز مميزات هذه القصيدة أنَّ الشاعر قد ذكر فيها شهداء النصرانية في واقعة الطف، كوهب النصراني و سفير روم في بلاط يزيد، ونرى من هذا الخلال أنَّ الشاعر قد جعل العلاقة والربط بين دين الإسلام ودين المسيح، وأيضاً قد أشار الشاعر في أبيات من هذه القصيدة إلى رأس الحسين(ع) ورأس يحيى النبي(ع).

فيذكر الشاعر في هذه القصيدة إلى فضائل الإمام(ع) ويعتقد أنَّ الحسين عليه السلام وجهٌ رسوليّ، وهو سبط النبي الأعظم(ص) يحمل رسالته النبويّة لجميع البشر، يقول الشاعر المسيحيّ المعاصر ريمون قسيس:

يَا حَفِيدَ النَّبِيِّ قَدْ جِئْتَ تَعْلِي  
هُوَ مِنِّي - قَدْ قَالَهَا - أَنَا مِنْهُ  
هُوَ سَبْطٌ مُطَهَّرٌ كَعَلِيٍّ  
رَايَةً تُرْتَجَى لِعَرْبٍ وَفُرسِ  
وَ«حُسَيْنًا» سَمَّوهُ مِنْ غَيْرِ لُبْسِ  
هَاشِمِيٍّ وَأَمْرُهُ لَا لِرَجْسِ

(قسيس، ٢٠١١م: ٢٤ و٢٥)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى الحديث النبوي القائل في حقّ الحسين عليه السلام: «حسينٌ منِّي وأنا من حُسين» الذي يدلّ على شأن الإمام ومنزلته عند النبي(ص)، والحسين(ع) هو سبط النبي(ص) وهو من بيوتِ أذن الله أن ترفع، في بيت النبوة الذي نزلت في حقهم آية التطهير. ويواصل الشاعر ريمون قسيس أشعاره بذكر فضائل الإمام الحسين عليه السلام في قصيدته «ملحمة الحسين»، فالإمام(ع) لا بديل له في الشجاعة

والجود، وهو ينبوع ومصدر الفطنة والكياسة معاً؛ وليس هناك من يسامى الإمام فى هذه الخصال؛ فيقول:

جُرأةٌ فى شُجاعةٍ، جُودٌ كَفٌّ لا يُجَارَى، وَنَبْعُ فَهْمٍ وَنَدْسِ

(قسيس، ٢٠١١م: ٢٩)

والحسين عليه السلام هو أبو الأئمة الأطهار(ع) الذى يُهتدى به كما يُهتدى بالفرقد بدون ذهاب ضوء أو إمحاء نور، فيقول الشاعر ريمون قسيس:

وَ«حُسَيْنٌ» أَبُو الْأئِمَّةِ يَمْشِي فى الْوَرَى فَرَقْدًا بِلا أَى طَمَسِ

(همان: ٣٣)

### وصف مصائب أهل البيت(ع)

من القضايا التى يعتنى بها الشاعر أثناء رثائه لكبار الشخصيات، هو ذكر المصائب والمحن والآلام التى شهدتها وواجهها الشخص المرنى له فى حياته، ليخفف الشاعر بهذا عن أحزانه وآلامه ويجعل رثائه أكثر تأثيراً فى المتلقى وإضافة إلى هذا، ليشرح للمتلقى مقاطع من واقع حياة المتوفى فى الماضى ليتعرف عليه ويتأثر من فقدانه.

أما أهل البيت عليهم السلام قد شهدوا فى حياتهم كثيراً من المصائب والمحن، ولكنهم تحمّلوا هذه المصائب مرضاةً لوجه الله ليقيموا دين الحقّ ويثبتوا العقيدة إلى أن استشهدوا فى هذا السبيل.

فمن المصائب والمحن التى شهدتها أهل البيت عليهم السلام فى حياتهم وقد غيرت هذه الحادثة مسار التاريخ بأكمله هى قضية السقيفة ووصاية أمير المؤمنين(ع)، فى يوم السقيفة فى تاريخ الإسلام هو اليوم الذى تبدأ فيه مصائب ومحن أهل البيت عليهم السلام، لأنّ حقّ الولاية والإمامة على المسلمين قد اغتصب من أمير المؤمنين وأبنائه وقد كان أمراً إلهياً وقد نزلت فى هذا الشأن آية تعرف بأية إكمال الدين، قال الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (المائدة/ ٣). وقد أبلغ النبى(ص) هذه الآية للناس فى يوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة السنة العاشرة من الهجرة فى غدير خم. ولكنّ الناس قد جهلوا هذه القضية ونكروها. إنّ الشاعر المسيحي اللبناني يرثى أهل البيت عليهم السلام ويشير إلى هذه القضية ويعتقد أنّ يوم السقيفة هو

اليوم الذي نكست فيه أعلام الإسلام وجهزت جيوش الكفر لصدّ دين الحقّ، وما كان هذا الأمر إلاّ غرائز وهوى النفس الذي اتّبعه قوم ضالّون، فيقول:

لولاك، يا يومَ «السَّقِيْفَةِ» ما التوت  
تلك الصّفوفُ، ونكّست أعلامُ  
ضلّت بأحلام النّفوسِ غرائزُ  
فطغى الهوى، واختلّت الأحكامُ  
(الهاشم، ١٤٢٠ق: ١٩)

لا شكّ ولا ريب أنّ واقعة الطفّ هي من أفجع الأحداث في تاريخ البشرية، والمصائب والمحن التي شهدها آل البيت(ع) في هذه الواقعة لا توصف مهما مرّت الأزمنة ودارت الأيام فليس هناك من يستطيع أن يصفها كما كانت هي في واقعها. وقد وصفها الشعراء في العصور المختلفة ورثى لمصائبها وفي العصر الراهن نرى رثاء هذه الواقعة على لسان شعراء النصرانية من لبنان وهذا الرثاء يعتبر من أصدق الرثاء لأنّه يعبر عن عاطفة صادقة رسمتها ريشة هؤلاء الشعراء.

إنّ الشاعر ريمون قسيس في مقاطع من قصيدته ملحمة الحسين(ع) يذكر العقيلة زينب سلام الله عليها بحماس ولهفة، وبالاستعانة ببعض القصائد المنسوبة إلى سيدة كربلاء البطلة والتي تعبر عن لسان حالها، يقول في الأبيات ٨٢-٨٥ من قصيدته:

زينب أنت أخته خير أختٍ  
لطمت وجهها وصاحت: لتعسى  
عندما شاهدته رأس حسينٍ  
أنشدت شعرها تُشير بخمس  
(قسيس، ٢٠١١م: ٣٧)

وأما الشاعر اللبناني المعاصر جوزيف الحرب يرسم تلك المحن والمصائب التي حلّت بآل الرسول(ص) ويتفجّع لمشاهد منها. فهو يرسم في أشعاره مشهد استشهاد الطفل الصغير الذي استشهد وقد حمله الإمام(ع) على يده. ويعتبر هذا المشهد من أفجع وأبشع مشاهد واقعة كربلاء والذي لن ينمحي من ضمائر البشرية، عندما طلب الإمام(ع) شربة من الماء لطفله الصغير، ولكن جيش الأعداء قد رمى الطفل بسهم في عنقه بدلاً من الماء؛ فيقول:

أراك لا تنسين يا كربلاء كيف صاح به أحد الجند  
خذ.. اسقه

وأوتر القوس ورمى الطفل بسهم اختلجت عليه أحشاؤه!

فهبينى كربلاء أرح رأس طفل الحسين على يديّ  
هبينى ذؤابتيه المرسلتين  
وخلاخيل قدميه  
ومِشملته  
وقميصه المشقوق  
والعقد والعود والبكاء الذي ما ترسل من بين أجفانه  
مخافة أن يتملح فمه إذا لامست قطرات دمه شفتيه

(العاملى، ٤٢٢ق: ٤٢)

### دور أهل البيت (ع) فى إحياء دين الإسلام

لا شك أن أهل البيت (ع) قدّموا حياتهم من أجل تثبيت الدين والعقيدة وقد جاهدوا فى هذا السبيل إلى درجة الإستشهاد وتحملوا المشاق والتعذيب من قبل السلطات الظالمة آنذاك. فأهل البيت عليهم السلام هم معدن الرسالة ومفسّروا الوحي من بعد النبى (ص) وقد كرّسوا حياتهم من أجل إحياء الدين المحمدى (ص) وقد واجهوا فى هذا السبيل الكثير من المعاناة فبهذا نرى الشاعر الملتزم فى رثائه لآل بيت الرسول (ص) يشير إلى دورهم ومنهجهم ومجاهداتهم فى إحياء الدين. فنرى الشاعر المسيحي المعاصر جوزيف الهاشم يتطرّق إلى دور أهل البيت (ع) فى إحياء دين الإسلام ويعتقد لولا على (ع) لما ارتفعت رايات الدين التى تدعو إلى الحقيقة والإيمان، ولم تكن هناك مساجد ليعلى اسم الله فيها، وبهذا يشير الشاعر إلى دور الإمام على (ع) الحاسم فى تعزيز الدين؛ فيقول:

سَيْفُ الْجِهَادِ، فَتَى، لَوْلَاهُ مَا خَفَقَتْ  
لِدَعْوَةِ اللَّهِ، رَايَاتٌ وَلَا قَبَسٌ

(الهاشم، ١٩٩٩: ٣٤)

قد أراد الحسين عليه السلام من إستشهاده فى معركة كربلاء الذى كان من لدن الخالق، أن يترك للأجيال والأمم جمعاء أن تنغم بضراوة النضال وقداسة المواقف وغنائم الشهادة ليثبت بها دين الله. فيقول ريمون قسيس:

وَلَقَدْ عَشْتُ لِلرَّمَاكِ الْعَوَالِي  
فِي سَبِيلِ إِلَهٍ يُفْدِي بِنَفْسِ

(قسيس: ٢٤)

إنّ استشهاد الإمام الحسين (ع) في واقعة الطف هو رمز التضحية من أجل الدين والعقيدة، والشاعر المسيحي المعاصر ريمون قسيس مع وصفه لمواقف واقعة عاشوراء واستشهاد الإمام (ع)، يصوّر مدى دور الإمام الحسين (ع) في إحياء دين الله، فاستشهاده لم يكن إلا دعوة من الله وقد لبّاه الإمام (ع) من غير أن يوجس في نفسه خيفةً، فهو يقول:

قَتْلُ نَفْسٍ مِنْ أَجْلِ رَبِّ قَدِيرٍ  
هُوَ أَمْرٌ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَهَجْسٍ

(همان: ٢٦)

وفي هذا المجال يصف جوزيف الهاشم ثورة الحسين (ع) ويعتقد أنّ هذه الثورة قد حققتها الإمام (ع) من أجل إرساء الدين والعقيدة، ولولا هذه الثورة لما احتفظ دين الله، ولم يتحقق سر خلق وابتداع العالم والكون لولا هذه الثورة؛ فيقول:

لَوْلَاكُمْ، لَمَا ارْتَقَتْ لَلَّهِ أَلْوِيَّةٌ  
إِنْ يَغْدُرُ السَّيْفُ، وَالْإِسْلَامُ مُنْتَصِرٌ  
تَبْكِيكَ ثَوْرَةَ عَاشُورَاءَ فِي طَرْبٍ  
وَأَخَابَ سِرَّ ابْتِدَاعِ الْكَوْنِ بِالنَّدَمِ  
فَالثَّغَرُ يَفْتَرُّ عِنْدَ الْحُزْنِ وَالْأَلَمِ  
وَالدَّمَغُ يَنْسَابُ رَقْرَاقًا مَعَ النَّعْمِ

(الهاشم: ٦٥)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى انتصار الدم على السيوف، وهو انتصار حقيقي كما يعتقد أنّ شهداء كربلاء قد انتصروا بدمائهم في نهاية المطاف على أعداء الإسلام. وقد مزج الشاعر بين البكاء والطرب وبين الدمع والنغم وهذه من المحسنات البديعية والصور الأدبية التي منحت لهذا البيت جمالاً، ويصوّر الشاعر من خلال هذه المفارقة أنّ ثورة عاشوراء قد انتصرت وإن كانت هناك مصائب ومحن قد شهدها آل بيت رسول الله (ص).

## نتيجة البحث

نستخلص من هذه الدراسة التي تناولت رثاء أهل البيت (ع) في الشعر شعراء لبنان المعاصرين إلى هذه النتائج؛ إنّ أهل البيت (ع) هم أسوة الإيمان والعقيدة، لأنّ حبّهم هو حبّ الإيمان والكمال والحرية والشجاعة والعدالة والشهادة والقيم الإنسانية السامية، فليس عجيباً أن يشترك المسلمون وغير المسلمين في هذا الحبّ المعنوي.

قد تأثر شعراء لبنان المعاصرين من عظمة أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، وقد نظموا الكثير من القصائد في رثائهم وقد تكلموا فيها عن عظمة أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم.

قد اهتمّ الشعراء في العصور المختلفة برثاء آل البيت عليهم السلام، وفي العصر الراهن أيضاً نرى قصائد كثيرة في رثاء أهل البيت عليهم ونشاهد أصدق هذه القصائد على لسان شعراء لبنان المسيحيين. قد اهتمّ شعراء لبنان المعاصرين بعقيدة صادقة في رثاء أهل البيت (ع)، وقد عبّروا في قصائدهم عن حزنهم وآلامهم من استشهاد أهل البيت (ع)، وذكروا عظمتهم وفضائلهم، وقاموا بوصف المصائب والمحن التي قد حلّت بآل البطت عليهم السلام وقاموا بتبيين دورهم في إحياء دين الإسلام.



## المصادر والمراجع

- ابن فارس، أحمد. ١٩٧٩م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، لا مك: دار الفكر للطباعة والنشر.
- ابن منظور، جمال الدين بن محمد. ١٩٩٧م، لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- الجمحي، ابن سلام. ١٩٧٤م، طبقات فحول الشعراء، شرح محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدنى.
- الجوهرى، اسماعيل بن حماد. لا تا، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين.
- الخطيب، بشرى محمد على. ١٩٧٧م، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، بغداد: مديرية مطبعة الإدارة المحلية.
- زمخشري، جار الله محمود. ١٩٧٩م، أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، بيروت: دار المعرفة.
- سلامة، بولس. ١٩٢٣ق، عيد الغدير، قم: مطبعة أفق.
- ضيف، شوقي. ١٩٦٥م، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط ٤، القاهرة: دار المعارف.
- ضيف، شوقي. ١٩٨٨م، فنون الأدب العربي، الرثاء، ط ٤، القاهرة: دار المعارف.
- عتود، مارون. ١٩٦٥م، أدب العرب، بيروت: دار الثقافة.
- قدامة بن جعفر. ١٣٠٢ق، نقد الشعر، قسطنطينية: مطبعة الجوانب.
- القيروانى، أبو الحسن ابن رشيق. ١٩٧٢م، العمدة، ط ٤، بيروت: دار الجيل.
- النعمة، مقبول على بشير. ١٩٩٧م، المراثى الشعرية في عصر صدر الإسلام، بيروت: دار صادر.
- هيفا، راجى أنور. ٢٠٠٥م، الإمام على عليه السلام في الفكر المسيحي المعاصر، لبنان: دار العلوم.